

جرائم المنظمة المسلحة السرية (O.A.S)

في الجزائر

كريم مقنوش، لإطار بالمركز

مقدمة

اقترن اسم منظمة الجيش السري في الجزائر بالأعمال الإجرامية التخريبية على جميع المستويات، خلال فترة قصيرة بين 1961-1962 حصدت هذه المنظمة آلاف الضحايا الأبرياء من المدنيين العزل، ودمرت المنشآت الاقتصادية والاجتماعية، قصد منها أن يرث الجزائريون وطنهم خاليا من جميع وسائل الحضارة. و ازداد نشاط هذه المنظمة بعد تصريح الجنرال ديغول في 16 سبتمبر 1959، معلنا عن إمكانية استفتاء الشعب الجزائري في تقرير مصيره، مما أثار قلق ومخاوف الأقلية الأوروبية. استطاعت هذه المنظمة ضم أكبر قادة عسكريين من جنرالات و عقدا و ضباط وأيضا مدنيين حتى في البرلمان الفرنسي، اتفقوا جميعا على تحطيم ما أسموه بـ " سياسة التخلي " التي انتهجها ديغول في الجزائر.

و للإجابة عن مختلف الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن، لماذا؟ كيف ظهرت؟ ما هي الإستراتيجية التي اتخذتها جبهة التحرير الوطني في تصفية هذه المنظمة؟

المنظمات الإرهابية المضادة للثورة الجزائرية

ارتبط وجود الجمعيات المتطرفة بحادثتين، الأولى تمثلت في

نمو التيار التحرري الوطني في الجزائر والثانية التقاء فكرة الفاشية وترباطها بعهد فرانكو بإسبانيا.

امتدت هذه المنظمات الإرهابية إلى حركتين ظهرتتا في الثلاثينيات وهما " اتحاد لجان العمل الدفاعي "، و " اللجنة السرية للعمل الثوري "، وكانت مهامهما جمع الأموال والسلاح لاستخدامه عند الضرورة، خاصة أنهما كانتا ضد حكومة الوحدة الشعبية، وتمثل هدفها كما جاء على لسان أحد قادتها : " إن الهدف من تكوين هاتين اللجنتين ينحصر في نقطتين أساسيتين:

- العمل على المستوى المدني وذلك بالتصدي لمواجهة الشيوعيين إيديولوجيا.

ب - يتولى العسكريون مهمة القضاء على الضباط الذين ينظمون إلى الحركة ويتولون القيادة.

بلغ عدد العسكريين الفرنسيين الذين التحقوا بهذه المنظمة 12 ألف، سنة 1645 بعضهم انضم إلى النازيين وتولوا مناصب حساسة في حكومة فيشي، شعارهم " هتلر أحسن من الحكومة الشعبية ".

رغم المطاردة لهؤلاء الفارين من قبل السلطات الفرنسية، إلا أنهم استطاعوا تكوين تنظيم آخر سمي " قداماء موظفي البوليس " في 3 مارس 1947.

ومن جهة أخرى أنشأ الفاشيون تكتلا ثانيا أسموه " جمعية

قدماء البوليس الوطني والبوليس البلدي في فرنسا وفي أقطار ما وراء البحار "، تمكنوا من خلاله السيطرة على الجهاز الأمني. انضم إلى هذه الجمعية الجديدة ضباط الشرطة العائدون من المستعمرات بعد استقلال كل من تونس والمغرب سنة 1956، مما سهل لهذه الحركة في تقوية نشاطها الإرهابي، فأطلقوا على أنفسهم " الجزائري فرنسية"⁽¹⁾. بالإضافة إلى هذه المنظمة هناك منظمات لا تقل أهمية عن الأخرى نذكر منها:

- 1 - الاتحاد الفرنسي للشمال الإفريقي التي تأسست في نهاية 1955، بالشبلي ولاية البليدة، كانت تتشط تحت حماية جنود المظلات ذوي القبعات العريضة، رئيسها " بيار بانز " أحد المعمرين المتقاعدين.
- 2 - اتحاد فرنسيي الجزائر الذي تأسس سنة 1956، سماه روبير لاكوست القوة الثالثة.
- 3 - منظمة المقاومة للجزائر الفرنسية (O.R.A.F) التي تأسست في 6 فيفري 1956، بسيما فوكس بنهج شاراس، وكان رئيسها " روني كوفاكس " René Kovacs ، وهو من أصل بلغاري. لهذه المنظمة عدة خلايا داخل مدينة الجزائر، وأكبر خلية لها كانت موجودة بساحة الفروم - ساحة إفريقيا حاليا - وكان يشرف عليها " جوزيف

أورنيسي"، عرفت قبل سنة 1954 باسم " اتحاد للدفاع عن التجار الجزائريين" (U.D.C.A).

4 - منظمة قدماء المحاربين (O.A.C) ، ظهرت في فيفري 1956 ، للدفاع عن " الجزائر الفرنسية " ، ومعارضة كل سياسة إصلاح تحدث في الجزائر، وكان رئيسها " أوكس أرنولد ". هذه المنظمة نادت إلى تكوين لجان الإنقاذ العمومي أثناء انقلاب 13 ماي 1958 ، ونادوا بالجنرال ديغول إلى الحكم لينقذ فرنسا ⁽²⁾.

5 - الحركة الجزائرية السرية للأوراس (M.A.S.A) ، تأسست سنة 1956 ، وكان هدفها قمع السكان ومحاربة كل القرارات الإصلاحية.

6 - حركة المقاومين السريين، التي تأسست في العاصمة سنة 1956 ، لنفس الهدف.

7 - منظمة اليد الحمراء التي تأسست سنة 1956 ، من طرف أوروبيو الجزائر على نطاق شمال إفريقيا، واستحدثوا لها فروعاً كثيرة في أوروبا الوسطى والغربية، ومن بين نشاطاتهم اغتيال الزعماء الوطنيين في شمال إفريقيا وفي أوروبا. حاولوا اغتيال أحمد بن بلة في ليبيا، والطبيب بولخروف في روما، و أيت حسن (مندوب جبهة التحرير الوطني بألمانيا الغربية)، أما فرانتر فانون فقد تعرض إلى عدة محاولات واحدة في الحدود المغربية في جانفي 1960 ، واشتتين في المستشفى ⁽³⁾ ، والطاهر سواالم في ساربروك

بالحدود الألمانية النمساوية، وأكلي عيسيو طالب بجامعة بروكسل اغتيل في 9 مارس 1959.

ومما ساعدهم في ذلك نفوذهم الكبير في مجلسي البرلمان والشيوخ، والأحزاب والهيئات والمنظمات السياسية، واستطاعوا خلق أزمات وزارية حادة، وكان لهم تأثير في السلطة، بحيث أنهم واجهوا " غي مولي " في 6 فيفري 1956 بالطماطم العفنة كي يسير على خطاهم، وهم الذين أتوا بديغول إلى الجزائر بعد تمرد 13 ماي 1958⁽⁴⁾.

8 - الجبهة الوطنية الفرنسية (F.N.F) التي تأسست سنة 1957، وتحولت إلى جبهة الجزائر الفرنسية (F.A.F)، وكانت أكثر نشاطا داخل المجتمع الأوروبي بسبب تنظيمها المحكم، فقد ضمت إليها المدنيين وأفراد من الشرطة وقدماء المحاربين ورجال أعمال فرنسيين، وكانت تعارض سياسة ديغول في الجزائر، لذلك أصدر الجنرال ديغول قرارا بحلها بعد مظاهرات الحواجز في جانفي 1960⁽⁵⁾.

9 - تجمع الحركة الوطنية بالجزائر والصحراء، التي تأسست في 12 نوفمبر 1959 من طرف المستوطنين لمعارضة سياسة ديغول والدفاع عن سياسة الإدماج والفرنسة.

10 - لجنة الأربعين وهي فرع من منظمة المقاومة للجزائر

الفرنسية ، كان أعضاء قيادتها العامة من جهاز الأمن المركزي وهم:

- تروجا (محافظ قسم المخابرات العامة) وهو رئيسها.
 - لافارج (محافظ الدائرة الثانية).
 - لوصو (ضابط في الأمن المركزي).
 - دوشمب (مفتش الشرطة القضائية بالدائرة الثانية).
 - ليشال (مفتش بالمحافظة المركزية ومختص في القنابل البلاستكية).
- هؤلاء كانوا يختارون أماكن تفجير القنابل في الأحياء الشعبية ، أما المنفذون هم:

- ميشال فيشور (Michel Fechor).
- فيليب كاستيل (Philippe Castille).
- جورج كالي (George Calle).
- جو ريزا (Jo Riza).
- ماركيريو (Mercurio).
- جوزيف أوتيسي (Joseph Otissi) .

2 - نشأة منظمة الجيش السري

كانت بوادر إنشاء هذه المنظمة في سنة 1958 ، حيث تمرد الجيش الفرنسي في الجزائر على السلطات المركزية الفرنسية ،

فسقط " روني كوتي " René Coty وجئ بالجنرال ديغول إلى السلطة في 13 ماي 1958 ، ولكنها لم تؤسس رسميا إلا في فيفري 1961 ⁽⁶⁾. وتجدر الإشارة أن ميلاد المنظمة المسلحة السرية مر على فترتين، الأولى في فيفري 1961 بمدريد الإسبانية، والثانية في ماي - جوان من نفس السنة بساحة أول ماي بالجزائر العاصمة.

بعد أحداث هذا التمرد الذي أدى بإطاحة الجمهورية الرابعة، حقق أنصار الجزائر فرنسية هدفهم بقيادة ماسو، أورتيز، وسوزيني، وبينوا أن لهم وزنا لا يستهان به. حدد ماسو أسباب هذه الأحداث في ما يلي:

- ضعف الحكومات في الجمهورية الرابعة.
- اتصال الحكومات الفرنسية بجهة التحرير الوطني.
- انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو سنة 1954، وتأثيرها على نفسية الجندي الفرنسي، وخسرانها دوليا بعد حادثة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958.

إن أحداث التمرد في حد ذاته يبين لنا مدى تعطش الجيش للسلطة، إذ بمجرد نجاح الانقلابيين نصب كل من " رؤول سالان " و "جاك ماسو Jacques Massu " نفسيهما حكاما على السلطة في

الجزائر، وشغل " جو أورتيز Jo Ortiz " الخط الأمامي لنشاط الأوروبيين، وكان مقهى الفروم مقرا للاتصالات. أما " جون جاك سوزيني Jean Jacques Susini " المفكر والعقل المدبر للمجموعة، شكل قوة شبه عسكرية ضمت حوالي ألفي رجل مدرب على حمل السلاح.

بمجرد مجئ ديغول إلى السلطة، أراد القادة العسكريون إخضاعه لمواجهة الثورة، و عدم التخلي عن فكرة الجزائر فرنسية، لكن ديغول رأى أن مواصلة الحرب بهذه الطريقة وفي هذه المرحلة بالذات تعتبر رهانا خاسرا لفرنسا التي أثرت سلبا على إقتصادها، وجاء خطاب الجنرال ديغول في 16 سبتمبر 1959 أمام الأمة الفرنسية، معلنا عن حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه. وجاء خطاب ديغول بمثابة الضربة القاضية للأوروبيين الذين أدركوا أن ديغول غير مستعد لتغيير موقفه، واعتبره الجيش وثيقة استسلام وانهزام في تاريخ فرنسا، حيث صرح أحد الضباط الفرنسيين ردا على هذه السياسة الديغولية بقوله: " إن الجيش هنا (في الجزائر)، سيبقى هنا، وإن فرنسا هنا وستبقى هنا" (7). بحيث أشار ماسو في حديثه الصحفي مع إحدى الصحف الألمانية في منتصف جانفي 1960، إلى استيائه من سياسة ديغول، وأشار إلى أن

غلطة الجيش هي اختيار ديغول وتدعيمه للوصول إلى السلطة⁽⁸⁾.
بعد هذا التصريح قام ديغول باستدعاء ماسو إلى باريس لإبقائه هناك، غير أن هذا الإبعاد لم يرحب به أوروبيو الجزائر خاصة أنه لعب دورا كبيرا في تمرد 13 ماي 1958. بدأت الاتصالات بين كل من سوزيني، أورتييز، لغيارد، وشال لتحديد خطة استرجاع ماسو إلى منصبه. بعد هذا القرار بدأ العمل السري لقلب نظام ديغول، فكانت مظاهرات المتاريس " Les Barricades " في 24 جانفي 1960 بساحة الفروم حاملين شعار " يحي ماسو "، والتي انتهت بالفشل⁽⁹⁾.

رغم هذه المحاولة الفاشلة من قبل أنصار الجزائر فرنسية، إلا أنهم حاولوا مرة أخرى الوقوف في وجه ديغول، بحيث استغلوا زيارة هذا الأخير إلى الجزائر في 11 ديسمبر 1960 من أجل تحضير الاستفتاء حول تقرير مصير الشعب الجزائري، فتجمعوا في مظاهرات معادية له، ومن جهة أخرى خرجت جموع غفيرة من الجزائريين منادين " تحيا جبهة التحرير الوطني"، " تحيا الجزائر مسلمة مستقلة " وغيرها من شعارات الاستقلال والحرية، مبينين لديغول وأنصار الجزائر فرنسية أن السبيل الوحيد لوضع حد لهذه

الحرب هو الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره⁽¹⁰⁾.
ولقد ارتبط مصير بعض المنظمات الإرهابية بهذه الحوادث،
إذ حلت الجبهة الوطنية الفرنسية (F.N.F) بعد فشل مظاهرات
الحواجز في جانفي 1960، ومتابعة عناصرها الذين تجمعوا من
جديد في إسبانيا، بعدها حلت جبهة الجزائر الفرنسية (F.A.F) بعد
فشل مظاهرات ديسمبر 1960⁽¹¹⁾.

وأمام خطر ازدياد لهيب الثورة الجزائرية، التي أصبحت
تهدد فرنسا في تمزيق وحدتها الوطنية، وجه ديغول خطابا في 11
أفريل 1961 إلى الشعب الجزائري معلنا فيه، أن الجزائريين سوف
يقررون مصيرهم، وأن الدولة الجزائرية سوف تكون مستقلة
داخليا وخارجيا. بعد هذا الخطاب بعشرة أيام قرر الجنرالات
الأربعة وهم (سالان، جوهو، زيلر، شال) وذلك بالتعاون مع بعض
الضباط الفرنسيين في جهات مختلفة، بمحاولة تنظيم انقلاب
عسكري ضد ديغول (22- 25 أفريل 1961)، والذي باء بالفشل
الذريع، وكان القصد من هذا التمرد حسب الجنرال شال، هو
إجبار ديغول على تغيير سياسته في الجزائر. استغل ديغول هذه
الفرصة وقام بتطبيق المادة 16 من قانون الجمهورية باستعماله
السلطات الممنوحة له لعقاب المتمردين⁽¹²⁾.

وبالرغم من فشل الانقلاب، اعتبر انطلاقة جديدة للمنظمة المسلحة السرية ودعما لها، لأنها ضمت أكبر القادة العسكريين أمثال سالان وجو هو اللذين أصبحا على رأس هذه المنظمة، أما شال وزيلر فجرت محاكمتهما حضوريا في ماي 1961 بـ 15 سنة سجنا.

لقد اجتمعت عدة أسباب حول نشأة المنظمة المسلحة السرية في فيفري 1961، منها فشل عملية الحواجز في جانفي 1960، وتبعتها مظاهرات 11 ديسمبر 1960، مع عدم تطابق سياسة ديغول لأفكارهم، كل هذه المحاولات الفاشلة جعلت أنصار الجزائر فرنسية وعلى رأسهم " سالان " يختار إسبانيا كقاعدة خلفية لمعارضة سياسة ديغول لعدة أسباب نذكر منها:

- قربها من وهران القاعدة الديموغرافية للإسبان الفرنسيين.
- لأن نظامها السياسي هو نفس النظام الذي يعتقه أنصار الجزائر فرنسية.

- تأكدهم من دعم الجنرال فرانكو لهم⁽¹³⁾.

ففي 31 ماي 1961 استقبل ديغول نائبا من الأقدام السوداء في البرلمان قائلا له: " حضرة الجنرال، بمشاريعك هذه، سوف نتعب "،

فأجابه ديغول: "إذن ستعانون" (14).

تركيبة المنظمة

قام قياديو منظمة الجيش السري بوضع هيكلهم، وتم توزيع الأشخاص عبر الوطن وتحديد مهامهم، بالإضافة إلى التعبئة المادية والبشرية بعد هزيمة تمرد أفريل 1961:

- التركيبة المادية:

اقترح غودار Godard ثلاث شعب لهيكل المنظمة وهي:

1 - الشعبة الأولى مكلفة بالتنظيم والتعبئة (O.M) ، بقيادة غارد (Garde).

2 - الشعبة الثانية مكلفة بالاستعلام والعمليات (O.R.O) ، بقيادة بريز (Perez).

وتنقسم بدورها إلى قسمين:

-المكتب المركزي للاستعلامات (B.C.R) ، مهمته جمع المعلومات وتحليلها وتركيبها.

ب -مكتب العمليات التنفيذية (B.A.O) ، مهمته تنفيذ العمليات المقرر من طرف القيادة.

3 - الشعبة الثالثة مكلفة بالعمل السياسي والنفسي (A.P.P) ، بقيادة سوزيني (Susini).

وهي مقسمة إلى قسمين:

- اللجنة السياسية (C.P).

-لجنة للتأثير البسيكولوجي(C.A.P).

وللإشارة أنشئت في كل ناحية تنظيمات، تتفرع إلى قطاعات وبدورها إلى فروع بها قيادات عامة⁽¹⁵⁾.

اختير الجنرال "راؤول سالان" قائدا عاما للمنظمة من بين الشخصيتين "جوهو، غودار"، نظرا للثقل والسمعة التي يحظى بهما لدى الأقلية الأوروبية، أما النيابة فأسندت للجنرال "إدموند جوهو" وقيادة الأركان أسندت للجنرال غاردي (Gardy)، والعقيد "غودار" Godard. وبالتالي تم توزيع أعضاء المنظمة كما يلي: - الجزائر العاصمة: وهي المنطقة المركزية للمنظمة، فيها سالان، زيلر، غارد، غودار، دوغلدر، و سوزيني. - وهران: جوهو (وهو المسؤول عن المنطقة). - قسنطينة: أسندت لـ "شاتو جوبير" (Château Jobert)⁽¹⁶⁾.

كما استعملت في العاصمة الفرنسية باريس نفس الهيكلة، مع اختلاف تركز فروع المنظمة في المناطق العسكرية، وأسندت القيادة لـ Pierre Sergent⁽¹⁷⁾.

ب - التركيبة البشرية:

انضمت للمنظمة المسلحة السرية جميع الفئات والشرائح الاجتماعية، المؤمنة بفكرة الجزائر فرنسية، شعارها في ذلك "إن مصالح فرنسا في الجزائر مهددة".

يمكن تقسيمها إلى ثلاث فئات هي كالتالي:

- 1 - المعمرون والأقدام السوداء.
- 2 - الجيش الفرنسي، الذي كان أداة طيعة للمنظمة.
- 3 - الشرطة التي كانت تتشط أثناء حكومة " فيشي "، كانوا يقومون بإخفاء قادة المنظمة عند الضرورة.
- 4 - بالإضافة إلى ذلك هناك فئات أخرى كانت مساندة للمنظمة، وهم فئة اليهود، الحركة، والخونة من الجزائريين⁽¹⁸⁾.

4 - برنامجها

بعد سلسلة من ملاحقة أعضاء المنظمة السرية، تمكنت الشرطة الفرنسية من اكتشاف برنامجهم الهادف إلى تحطيم الدولة الفرنسية المتمثلة في سياسة ديغول، وتخريب المنشآت الاقتصادية والاجتماعية، ويلاحظ في هذا البرنامج الروح الفاشية الطاغية عليه. و نظرا لطول برنامج هذه المنظمة نكتفي ببعض النقاط:

- الجمهورية الخامسة: إعلان انهيار الجمهورية الخامسة وانهيار مبادئها ورجالها الذين يستغلون نظامها، ذلك هو الشرط الضروري لاستمرار حياة الأمة وإنقاذ الشعب.
- حكومة الإنقاذ العمومي: تشكيل حكومة إنقاذ عمومي من

مسؤولي الحركات الوطنية الفرنسية ، وممثلهم في الجيش وذلك لتحقيق.

- انبعاث الأمة.

- تحقيق مطالب العمال.

- إنقاذ التراب الوطني.

- الجيش: ترقية الإطارات الفتية المتشعبة بروح الهجوم، ووضعهم في أعلى المسؤوليات.

- الجزائر: ضمان الانتصار العسكري والسياسي السريع بواسطة سحق التمرد والقضاء على فلاة الداخل.

- البترول الصحراوي: القضاء على الشركات الاحتكارية الدولية.

الأحزاب: حل كل الأحزاب التي تبث الشقاق بين الفرنسيين، وتخدم مصالح كتل مالية معينة أو دول أجنبية.

الشعار القومي: الصليب المستدير يصبح هو الشعار القومي الرسمي، مع إلغاء كل الشعارات التي تذكر بالنظام البائد⁽¹⁹⁾.

5 - أهدافها

يمكن حصر أهداف منظمة الجيش السرية في النقاط التالية:

1 - الدفاع عن "الجزائر الفرنسية".

- 2 - تجنيد الرأي العام الفرنسي حول الدفاع عن " الجزائر فرنسية " العمل بكل الوسائل لتحقيقه.
- 3 - الضغط على الجنرال ديغول لتغيير سياسته التي انتهجها حول الجزائر والتي لا تتلاءم مع أهداف هذه المنظمة.
- 4 - التخطيط للقيام بانقلاب ضد رئيس الجمهورية الخامسة.
- 5 - إقامة دولة أوروبية في الجزائر تكون نقطة انطلاق للاستيلاء على الحكم في فرنسا⁽²⁰⁾

6 - مصادر تمويلها

كل نشاط يحتاج إلى المال، ومصدره يأتي بالاستثمار أو الدعم، وقضية المال بالنسبة للمنظمة كان يشكل مشكلة عويصة، إنها كمنظمة إرهابية تحتاج إلى المال لاستثمار المجرمين الذين لا تكفي عقيدة الجزائر فرنسية في إثارة وطنيتهم التي لا تتحرك إلا عند رؤية الأوراق النقدية⁽²¹⁾.

استعملت المنظمة السرية عدة طرق للحصول على الأموال

منها:

- الطريق المباشر: وتمثل في أخذ الضريبة مباشرة عند نهاية كل شهر، والتي تتراوح ما بين 10 و20 فرنكا جديد.
- تحديد الضريبة بالانفاق مع الدافع، بالنسبة للمهن الحرة (أطباء، محامين...).
- الضرائب على المؤسسات الاقتصادية الكبرى.
- الضرائب المفروضة على كبار المعمرين، تمثلت في مبالغ باهضة، وهذا ما فسر فرار رؤوس الأموال من الجزائر.
- ضرائب المناسبات، إذ أنه كلما فجر فدائي قنبلة في متجر أحد أعضاء المنظمة، تضع حواجز في أنهج معينة، تفرض على كل سيارة تمر بدفع مبلغ مالي.
- بمناسبة عيد الميلاد، تضع الهدايا عند أبواب البنايات لصالح جنود "الجزائر فرنسية"⁽²²⁾.

بالإضافة إلى هذا، وضعت المنظمة بطاقات وردية اللون للمشاركين تحمل شعار " ديوان العمل الاجتماعي (Office d'Action Sociale) ، والتي يسجل فيها المبلغ المدفوع.

أما بالنسبة لعمليات السطو والنهب فحدث ولا حرج، إذ قامت المنظمة بالسطو على البنوك والشركات والمحلات التجارية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، مؤسس موسي (Mussee) ، شركة أودري Audry ، البنك الشعبي التجاري، الشركة الجزائرية للقرض، بنك بئر خادم وغيرها⁽²³⁾.

وللملاحظة فإن هذه العمليات الإجرامية، حسب مراسل جريدة المجاهد تمت بنفس الطريقة، وفي وضع النهار، ولم تتجح الشرطة في إلقاء القبض على مرتكبيها، وهو أمر إن دل على شيء فهو يدل على تواطؤ جهاز الأمن مع منظمة الجيش السري⁽²⁴⁾.

7 - نشاطها الإرهابي

بعد فشل التمرد العسكري في أفريل 1961، خرجت المنظمة المسلحة من سريتها وترجمت سخطها بتحركات علنية وعمليات إجرامية، واتبعت سياسة الأرض المحروقة، فرمت بمنشوراتها في الشوارع، وأول منشور وزع في الجزائر العاصمة في 1 مارس 1961،

جاء فيه: " نداء إلى الفرنسيين من كل أصل " ، وقامت أيضا بتفجير القنابل البلاستيكية.

و من أجل تحقيق أهدافها ، انطلقت المنظمة بمختلف الوسائل وهي:

- تصفية الإطارات الجزائرية.

- اغتيال الفرنسيين ذوي الأفكار الحرة وغير المواليين للمنظمة.

- القتل الفردي والجماعي.

- نهب و سرقة البنوك والمحلات التجارية.

- تدمير المؤسسات الاقتصادية والثقافية والإدارية.

- تجنيد المتطوعين من الضباط والجيش والحركة والمعمرين لتكوين وحدات مسلحة.

- القيام بالانقلابات ضد سياسة ديغول⁽²⁵⁾.

تصاعدت عمليات التدمير والقتل ، في الوقت الذي كانت تجرى فيه المفاوضات بين الحكومة المؤقتة الجزائرية ، والسلطة الفرنسية ، حيث أصدرت المنظمة بيانات في كل المدن من الجزائر العاصمة ، وهران ، و عنابة وغيرها ، تحث الفرنسيين على الوقوف ضد اتفاقيات إيفيان. وكتعبير عن سخطها قامت باغتيال رئيس بلدية إيفيان كاميل بلان (Camille Blanc) في 1 أفريل 1961⁽²⁶⁾.

هذه عينة من السياسة المطبقة إزاء من يقف ضدها ، متشبثة بشعارها " لا الحقبة ولا التابوت ، بل التقسيم"⁽²⁷⁾.

إن الأعمال الإجرامية لعصابات البلاستيك ونشاطهم

الإرهابي لا يحصى، إذ لا نستطيع في هذا الموضوع حصرها لكثرتها، لذلك نوجز بعضها كالتالي:

- بين 23 أفريل و 10 أوت 1961 بلغ عدد القنابل التي فجرها المتطرفون 1430 قنبلة، في كل من العاصمة، وهران، سيدي بلعباس، و عنابة.

- في 11 سبتمبر 1961 سجل 20 انفجارا.

- في 15 سبتمبر 1961 انفجرت 7 شحنات من البلاستيك في العاصمة ضد الجزائريين و محلاتهم التجارية.

- في 20 سبتمبر 1961 انفجرت 20 شحنة من البلاستيك في العاصمة، وشحنة أمام مقر بن حداد والي قسنطينة، أحدثت خسائر مادية معتبرة، وأخرى بمصبغة بقسنطينة⁽²⁸⁾.

- وفي نفس اليوم تم اغتيال المحافظ ألكس غلدن برغ (Alex Goldenberg)، ويعتبر من الشخصيات البارزة في الجزائر.

- في 17 ديسمبر 1961 اغتيل المحافظ الثاني بوهان وهو العقيد رونسون (Ronsson)⁽²⁹⁾.

واجه ديغول مشكلة أخرى في صيف 1961 على غرار المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني فيما يتعلق بقضية الصحراء، وهي أن المنظمة السرية بثت أخبارا معادية لسياسة ديغول في الجزائر، وقامت باغتيال الشخصيات العسكرية والمدنية الموالية

لديغول ولجبهة التحرير الوطني. أما ديغول فقد نجا عدة مرات من محاولة الاغتيال، الأولى في 8 سبتمبر 1961، والثانية في أوت 1962، والثالثة في سبتمبر 1962، بعد تصريحه عن تخلي فرنسا عن مشكلة الصحراء⁽³⁰⁾.

في الوقت الذي قربت فيه عملية المفاوضات على الانتهاء، زاد نشاط المنظمة السرية خلال سنة 1962، لضرب اتفاق وقف إطلاق النار، وكثفوا عمليات التفجير والاغتيالات قصد إجبار جيش التحرير على الرد، وهذا ما يؤدي إلى تدخل القوات الفرنسية وعودة المعارك من جديد.

ففي ليلتي 4 و5 مارس 1962 أطلقت المنظمة عليهما اسم "ليلة الزرقاء"، إذ تمت 130 عملية تفجير في مختلف المناطق⁽³¹⁾.

- 15 مارس 1962، اغتالت مجموعة دلتا ستة جزائريين بالمركز الاجتماعي بالأبيار منهم الأديب والمفكر الجزائري "مولود فرعون" وعلي حموتان⁽³²⁾.

وفي نفس التوقيت الذي تم فيه الإعلان عن وقف إطلاق النار يوم 19 مارس 1962، أعلن الجنرال سالان في حصة قرصنة إذاعية للمنظمة، عن إعطائه الأمر للمناضلين في المنظمة بمكافحة جبهة وجيش التحرير الوطني في كل مكان، وأمر الجزائريين والأوروبيين بالانضمام إليهم⁽³³⁾.

- 26 مارس 1962 حادثة نهج إيزلي (Rue d'Isly) في الجزائر

العاصمة، أدت إلى 46 قتيلا و200 جريح⁽³⁴⁾. هذا وفي نفس اليوم حاول العقيد غارد (Garde) تكوين وحدات عسكرية في جبال الونشريس باسم المنظمة، بمساعدة ضباط آخرين لمواصلة المعارضة لسياسة ديغول، إلا أنه لم يستطع المقاومة أمام وحدات من جيش التحرير الوطني للمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، التي استطاعت السيطرة عليهم⁽³⁵⁾.

رغم وقف إطلاق النار إلا أن المنظمة زادت من هيجانها، ففي يوم 2 ماي 1962 قامت فرقة من الكومندو (دلتا) بوضع سيارة ملغمة في ميناء الجزائر، ذهب ضحيتها 63 قتيلا و110 جرحى كلهم جزائريون حاملون بالمرسى⁽³⁶⁾، ووجهت قنابل الروكيت على حي بلكور ومناخ فرنسا (Climat de France) واستعملت مدافع الهون، فكانت الخسائر باهضة.

هذا ولا ننسى الجريمة في حق الثقافة، التي أدت إلى حرق مكتبة جامعة الجزائر يوم 7 جوان 1962، بحيث أتلّف 600 ألف عنوان، وتفجير المخابر والقاعات⁽³⁷⁾، وكانت غايتها أن يرث الجزائريون وطنهم مخربا من جميع وسائل الحضارة.

وفي 10 ماي 1962 قامت المنظمة باغتيال النساء الجزائريات العاملات في البيوت الأوروبية أثناء توجههن للعمل صباحا، سميت بـ "عملية فاطمة"⁽³⁸⁾.

لم تسلم فرنسا من العمليات الإجرامية التي ينفذها مجموعات الكومندو التابعة لبيار سرجون، قصد زرع الخوف لدى الفرنسيين الموالين لسياسة ديغول، وأيضا الجزائريين المقيمين بفرنسا، ففي ليلة الخميس إلى الجمعة 13-14 جويلية 1961، سمع دوي ستة انفجارات من نوع البلاستيك، ثلاثة منها كانت موجهة ضد نواب في البرلمان من حزب (U.N.R)، و اثنان منها أمام مقهى الجزائريين⁽³⁹⁾.

8 -رد فعل الثورة الجزائرية لها

لم تبق جبهة التحرير الوطني مكتوفة الأيدي أمام بشاعة جرائم منظمة الجيش السري، التي ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء المدنيين، وتبتهت لمخططات وأهداف المنظمة، فأعطت أوامر صارمة بأن لا يقع أحد في فخ هذه الاستفزازات، لأن غرض هذه المنظمة هو دفع الجزائريين لمقاومة الأوروبيين، الشيء الذي يعطي حجة للقوات الفرنسية للتدخل ضد الجزائريين .

قام فدائيون من مختلف المناطق في عنابة، معسكر، الجزائر العاصمة، مستغانم، بليدة، قسنطينة، المدية، خراطة، دلس، والمرسى الكبير وغيرها، في 9 و10 جانفي 1962 بقتل 52 عضوا من المنظمة السرية⁽⁴⁰⁾.

قررت الجبهة في 14 ماي 1962 بعد اجتماع مسؤولي

العاصمة، القيام بهجمات خاطفة ضد مواقع المنظمة المسلحة، فاختارت 17 مكانا في العاصمة (المقاهي، المطاعم، الحانات...)، خلفت 19 قتيلًا و60 جريحًا، و في اليوم التالي قتلت المنظمة حوالي 56 جزائريًا⁽⁴¹⁾.

قامت جبهة التحرير الوطني بعمليات تخريبية لبعض الشركات الفرنسية التي تقوم بالخدمات الاجتماعية ظاهريا لدى السكان، بحيث كان أفراد المنظمة السرية يتسربون من خلال هذه الشركات إلى الأحياء الشعبية، ويتمكنون من الدخول إلى المحلات التجارية بحجة تصليح الأجهزة الكهربائية.

وفي 13 جوان وزعت الجبهة منشورات تدعو فيها المستوطنين للوقوف في صف الجزائر من أجل تدعيم استقلالها، وفي نفس الوقت نشطت خلايا الجبهة في توعية الجماهير بتوزيع المناشير على الجزائريين، للحيلولة دون تنفيذ عمليات النسف بالبلاستيك، والهجوم على أحياء الجزائريين، فكان كل فرد جزائري مطالب بتأدية واجبه.

وقد استمرت التعبئة الجماهيرية الواعية في مواصلة النضال على جبهتين، ضد القوات الفرنسية من جهة، وضد المنظمة المسلحة السرية من جهة أخرى. فقد دعت الحكومة المؤقتة الجزائرية المستوطنين الفرنسيين خاصة، والأوروبيين عامة للمشاركة في

استفتاء تقرير المصير يوم 1 جويلية 1962، وأن يساهموا في بناء الجزائر الجديدة، ونص أيضا على أن اتفاقيات إيفيان والضمانات التي احتوتها كفيلة بضمان مستقبل مزدهر لهم، وحشتم أيضا أن لا يجازفوا بأنفسهم ويقعوا في فخ المنظمة المسلحة التي تعمل على تخريب الجزائر⁽⁴²⁾.

و أمام هذه الوضعية الحرجة زاد نشاط جبهة التحرير في توعية الجزائريين، بحيث وزعت عدة منشورات في العاصمة، جاء في إحداها ما يلي: "يا بنات وأبناء العاصمة البطلة... إن الساعات التي نعيشها هي في نفس الوقت مثيرة وحاسمة، وأملنا المشترك في الحرية والاستقلال هذا الأمل المدوي، أصبح اليوم حقيقة واضحة لا تقهر، وأذئاب الفاشية والعنصرية، أصبحوا منذ الآن منهزمين، وكل ما يقترفون راجع عليهم، ولتسهيل سحق المنظمة المسلحة السرية الإرهابية، يجب مضاعفة الهدوء واليقظة"⁽⁴³⁾.

9 - رد فعل بعض المنظمات غير الرسمية الفرنسية لها

لم تتجح المنظمة السرية من استمالة كل الفرنسيين ذوي الأفكار الفاشية، بل هناك من تجند في منظمات غير رسمية لمقاومة هذه المنظمة المسلحة. هذا نموذج من الرسائل التي وجهتها منظمة المجندين السرية للجنود الفرنسيين، ومما جاء فيها: "...و نحن متأكدون أن هؤلاء المغامرين بصدد إعداد انقلاب آخر، وقد

تمكنا بفضل معارضتنا من إحباط التمرد الأخير... ولذلك فنظرا لتساهل و تواطئ السلطات الرسمية، أنشأنا هذه المنظمة حتى لا نفاجأ بالمحاولة الجديدة... اعملوا ما استطعتم على تحطيم معنويات المنظمة السرية "(44).

هذه بعض المنظمات السرية المناهضة للمنظمة المسلحة، فلا يمكن حصرها جميعا، نذكر منها:

- O.C.C: هي منظمة المجندين السرية.

- O.O.L: هي منظمة الضباط المخلصين المستعدة لمقاومة سالان في حالة وقوع انقلاب.

- F.D.R: جبهة الدفاع الجمهوري.

معظم هذه المنظمات فيها إطارات من الشرطة تعمل رسميا في الظاهر للحكومة الفرنسية، بينما هي في الواقع تؤدي عملها السري (45).

10 - نهاية أسطورة المنظمة المسلحة السرية

بنت المنظمة المسلحة السرية نجاحها على أمرين هما: الأمل والخوف، الأمل في احتفاظها بالجزائر أو جزء منها، والخوف بواسطة اغتيال كل من يجرؤ من الأوروبيين على معارضتها، لكن الأمل طار عندما اصطدم بالواقع، وبقي الخوف فقط.

قبل الحديث عن أفول هذه المنظمة المسلحة، نبرز دور جبهة جيش التحرير الوطني الذي هزم الجيش الفرنسي في الوقت الذي يدعي فيه الانتصار، هؤلاء هم الذين قصموا ظهر المنظمة.

وفي مقال مطول في جريدة المجاهد بعنوان " في المعركة ضد المتطرفين، جيشنا القوة الضاربة الحقيقية " ⁽⁴⁶⁾، نستخلص منه فشل الإرهاب الأوروبي في تحقيق النتائج الإيجابية، بالإضافة إلى أن أعضاء المنظمة لم يسيروا وفق الهيكل الذي وضعوه لتحقيق أهدافهم، بل كان كل واحد منهم يطبق خطته حسب هواه. سوزيني كان يؤمن بأن " الجزائر فرنسية " قد تجاوزتها

الأحداث⁽⁴⁷⁾، إذ اقترح مع غارد فتح مفاوضات مع قيادة جبهة التحرير الوطني، فكان اتفاق شوقي مصطفى وسوزيني في 17 جوان 1962 في الجزائر العاصمة بتوقيف القتال بصفة نهائية⁽⁴⁸⁾.

بعد الضربات القوية التي وجهتها الثورة للمنظمة، وعمليات البحث والتفتيش من قبل قوات ديغول، زال الستار من على وجوههم واكتشف أمرهم، وألقي القبض على " إدموند جوهر " الرجل الثاني في المنظمة، في 25 مارس 1962 في وهران، أما " روجي دغلدر " منفذ الإجرام ألقى عليه القبض في 7 أفريل 1962 في العاصمة، ونفذ فيه حكم الإعدام، أما " رؤول سالان " الرجل الأول في المنظمة فألقي عليه القبض في 20 أفريل 1962⁽⁴⁹⁾.

الخاتمة

من الأمور الثابتة تاريخيا أن المنظمة المسلحة السرية كانت السبب الرئيسي في الهجرة الجماعية للفرنسيين خصوصا، والأوروبيين عموما، وذلك بطرق ثلاث مختلفة:

- أنها ورطتهم في الجرائم، معلقين آمالهم في انتصار هذه العصابة الفاشية.

- رغبتهم في إر كاع الدولة الجزائرية المستقلة بتدمير مؤسساتها الاقتصادية، ومنشآتها العلمية.

- أفرغت المنظمة اتفاقيات إيفيان من محتواها الأساسي، والمتمثل في إبقاء الأقليات الأوروبية في الجزائر⁽⁵⁰⁾.

و من جهة أخرى نجاح جيش التحرير الوطني بتشكيلاته الفدائية والعسكرية، في تسريب الشك إلى المستوطنين الأوروبيين في قيمة المنظمة السرية، وأثبتت للفرنسيين استحالة برنامج الترويع. و من المؤكد أيضا أن النهج الذي سلكته المنظمة المسلحة السرية عبر مشوارها الإجرامي لم يكتب له النجاح.

الهوامش

- 1 - محمود الواعي، منظمة الجيش السري، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص.ص 298 - 299.
- 2 - عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص.ص 276 - 277.
- مجلة الجيش، "فرنتر فانون الطبيب الثائر المنصهر في ثورة التحرير"، عدد خاص 376، نوفمبر 1994، ص 65.3
- 4 - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص.ص 297 - 299.
- 5 - عمار قليل، مرجع سابق، ص 300
- 6 - عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 96.
- 7 - عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954 - 1962، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص 173.

- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و الغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص 440.8
- دحمان توتي، منظمة الجيش السري في الجزائر 1958، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص 29.9
- 10- نفسه، ص 34.
- 11 - دحمان توتي، المنظمة المسلحة السرية في الجزائر 1961 - 1962، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1999، 2000، ص 90.
- 12 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 451.452.
- 13 - دحمان تواتي، مرجع سابق، ص 88.
- 14 Chronique du 20^e Siècle, Larousse, Editions Chronique S.A, Paris, 1990, p 927
- 15- Véronique Grousset, l'O.A.S, Historia Spécial, La Fin de l'Algérie N° 424 Bis, p 90, (1962-1959) Française
- 16 -محمود الواعي، مرجع سابق، ص 315.
- 17- Chronique du 20^e Siècle, Op.Cit, p 927.
- 18 -الجنيدى خليفة، حوار حول الثورة، ج3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1986، ص 276.
- 19 - محمد مبارك الميلي، الفاشية العالمية الحديثة، دار بيروت، 1963، ص.ص
- 93- 96، المجاهد، العدد 99، 1961/7/3، ص 11.12.
- 20 -محمود الواعي، مرجع سابق، ص 202.203
- 21 -المجاهد، عدد 115، 1962/2/19، ص 5.
- 22 -المجاهد، عدد 112، 1962/1/8، ص 7.
- 23 - دحمان تواتي، منظمة الجيش السري في الجزائر 1958، مرجع سابق، ص 50.
- 24 - المجاهد، عدد 115، مرجع سابق، ص.ص 5، 7.8.
- 25 - محمود الواعي، مرجع سابق، ص 202.203.
- 26- La Dépêche quotidienne d'Algérie, N°4117, 1 Avril 1961, p1-3

- 27 - محمد قنطاري، " عيد النصر في 19 مارس 1962 "، مجلة الذاكرة، العدد الرابع، المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 111.
- 28 - المجاهد، عدد 105، 1961/9/25، ص6
- 29 - محمود الواعي، مرجع سابق، ص 304.
- 30 - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص 183.
- 31 - محمود الواعي، مرجع سابق، ص 316.
- 32- Le Figaro, N° 4804, 16 Mai 1962, p3
- 33- Chronique, Op, Cit, p 938.
- 34- Ibid, p 938.
- 35- Mohamed Teguia, l'Algérie en Guerre, Office des Publications Universitaires, Alger, p403
- 36- Anne Marie- Duranton Grabol, Le Temps de l'O.A.S, Editions Complexe, 1995, p.p 291-299.
- 37 - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص 182.
- 38 - محمود الواعي، مرجع سابق، ص 321.
- 39- La Dépêche d'Algérie, N° 34, 15/7/1961, p3.
- 40- El Moudjahid, N° 89, 16/1/1962, p 665.
- 41- Teguia, Op,Cit, p 404.
- 42 - المجاهد، عدد 113، 1962/1/22، ص. 5-7.
- 43 - المجاهد، عدد 120، 1962/4/30، ص.2.
- 44 - المجاهد، عدد 110، 1961/12/11، ص.6.
- 45 - المجاهد، عدد 111، 1961/11/25، ص.7.
- 46 - المجاهد، عدد 114، 1962/2/5، ص 6-7
- 47 - دحمان تواتي، المنظمة المسلحة السرية...، مرجع سابق، ص 205.
- 48 - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص 184.
- 49- Chronique, Op,Cit, p939.
- 50 - دحمان تواتي، مرجع سابق، ص 255. 256.

